

التنشئة الأمنية ومنطق بناء الأمن الوطني

مصطفى ونوغي

أستاذ مساعد (أ) بقسم العلوم السياسية

جامعة مولود معمري- تيزي وزو

ملخص:

تحاول هذه الدراسة التطرق إلى مفهوم التنشئة الأمنية، كمصطلح جديد صاحب الثورة المعرفية الحاصلة في مجال الدراسات الأمنية، ومدى أهميته في تجسيد أمن الموطن في عصر ما بعد الحداثة. تهتم الدراسة بتفحص مختلف أبعاد "التنشئة الأمنية" والدوافع التي سمحت ببروزه بقوة في الألفية الثالثة مع ظهور مختلف التهديدات التي تمس بأمن المواطن وبقائه، وبذلك تحليل السبل والوسائل الكفيلة من أجل تكريس منطق التنشئة الأمنية من جهة وجعله أداة وقائية استباقية لتجنب الجريمة المنظمة وتعزيز الأمن الوطني من جهة أخرى.

الكلمات الدالة: الأمن. التنشئة الأمنية. الأمن القومي.

Résumé :

Cette contribution porte sur le concept de « socialisation sécuritaire », qui est une nouvelle notion ayant accompagné la révolution que connaissent les études sécuritaires et l'importance qu'elle revêt dans la manière de concevoir la sécurité du citoyen à l'ère postmoderne. On s'intéressera aux différentes dimensions que peut revêtir la « socialisation sécuritaire » et les raisons qui ont poussé avec force à son émergence au début de ce troisième millénaire, avec l'apparition des différentes menaces touchant la sécurité du citoyen et son existence. Il en découla la nécessité de voir quels sont les moyens et les voies qui sont à même de faire de la « socialisation sécuritaire » une réalité, avec sa propre logique, apte à devenir un outil préventif afin de combattre, d'une part, le crime organisé et consolider la sécurité nationale d'autre part.

Mots clefs: sécurité. socialisation sécuritaire. sécurité nationale .

Summary:

The aim of this study is to exhibit a relation between the security socialization and national security building in the post modern era.

After showing the concept of security socialization and its advanced roles in the national security building, the study analyzes the different dimensions of security socialization as the dynamic of this concept. The study concludes that individual security without security socialization signifying nothing.

Key words: security, security socialization, national security.

مقدمة:

تعتبر التنشئة الأمنية من المسائل الأمنية المطروحة بقوة في الوقت الراهن، نظرا لتشابك وتعدد الظاهرة الأمنية من جهة وارتباطها بالطبيعة الاجتماعية من ناحية أخرى ، وهو الأمر الذي جعل من مفهوم التنشئة الأمنية يتسع وفقا لتوسع مفهوم الأمن الذي أصبح شامل ويتضمن كل ما يمس بأمن المواطن وراحته واستقراره، ويأخذ أبعاد إستراتيجية متعددا المفهوم الضيق المنحصر على المنظومة العسكرية، وهذا التطور فرض على المجتمعات ضرورة بناء منطق التنشئة الأمنية لضمان أمنها الوطني وهو ما دفع بالدول وصناع القرار في الدول المتقدمة إلى رصد إمكانات مادية ومعنوية، لتطوير وتجذير الثقافة الأمنية لدى المواطن أو النشئانطلاقا من المراحل الأولى من العمر، ليكسب مهارات وآليات خدمة الوطن عن طريق تزويده بالقيم والأخلاق المتأصلة في المجتمع، وحصنه نفسيا وروحيا عن طريق تلقينه للمبادئ الصحيحة لعقيدته ودينه ثم إشباعه اجتماعيا، بواسطة تعليمه التقاليد والعادات الاجتماعية لتقويض كل ما يمكن أن يهدد ويهدم هويته عن طريق الثقافات الدخيلة عن المجتمع والمروج لها بواسطة وسائل الاتصال والإعلام المختلفة.

مما سبق يمكن صياغة إشكالية الدراسة على النحو التالي :

- ما هي أهمية تطبيق التنشئة الأمنية، وكيف يمكن تفعيل ممارستها لضمان بناء الولاء الوطني ومنه الأمن الوطني ؟.

- ومن أجل فهم أدق للموضوع نفكك الإشكالية على مجموعة التساؤلات الفرعية الآتية :

- ما مفهوم التنشئة الأمنية؟ وما هي أبعادها التي تسعى لتحقيقها ؟.

- ماهي الآليات والإجراءات التنفيذية لتطبيق التنشئة الأمنية ؟

I- مفهوم التنشئة الأمنية وأبعادها:

1- مفهوم التنشئة الأمنية:

هناك عدة تعاريف للتنشئة الأمنية و لذلك سنحاول الإدلاء ببعض منها:

1-1- تعرف التنشئة الأمنية بأنها: "ترسيخ و تجذير القيم الدينية و الاجتماعية السائدة في المجتمع، و حماية النشء من التيارات السلبية الصادمة،و ذلك بتدريب الطلبة على مقاومة التيارات التي تدعو إلى الخروج على القانون، وانتهاك الحريات و ارتكاب الجريمة وتهديد أمن المجتمعات، إضافة إلى التعريف بالضوابط القانونية و نقل المعارف المتعلقة بتطبيق و تنفيذ هذه الضوابط والنتائج المترتبة على مخالفتها"¹

ركز هذا التعريف على ضرورة تكريس المنظومة القيمية في بناء النشء، باعتبارها السبيل الوحيد لضمان أمنهم من مختلف التهديدات التي قد تهدم قيمه الروحية و الاجتماعية، وضرورة الربط بين المنظومة القيمية و المنظومة القانونية التي تنظم العلاقات فيما بين أفراد المجتمع الواحد و ترسيخ فكرة أن القانون يعلو ولا يعلى عليه.

2-2 - وتعرف التنشئة الأمنية بأنها: "تعليم و تعلم المفاهيم الأمنية و الخبرات اللازمة للمواطنين لتحقيق الأمن الوطني، وحماية الموارد الطبيعية، ومقاومة الرذيلة و الأمراض الاجتماعية، والتنشئة الأمنية، تنشئة مزدوجة: تنشئة أمنية للشرطة و المواطنين، تجعل الشرطي و المواطن رجلا أمن"².

نستخلص من التعريف أن التنشئة الأمنية هي قضية إزالة الطابوهات عن القضايا الأمنية، وذلك بتلقين النشء مختلف المفاهيم الأمنية قصد تجسيد الأمن الوطني في الواقع، ضفالي ذلك فالتعريف ركز على ضرورة الحماية والتسيير الراشد للموارد الطبيعية المتاحة قصد استغلالها لتلبية حاجات كل المواطنين وذلك بضمان التوزيع العادل للثروات - دون إفراط و لا تفريط -

¹ وزارة التربية و التعليم، الامارات، التربية الامنية، 2007، متحصل عليه من الموقع:

www.moe.gov.ae/index.htm ; consulté le : 10/10/2011 à 19h40.

² حامد زهران، الأمن النفسي دعامة أساسية للأمن القومي العربي و العالمي، ندوة الامن القومي العربي، بغداد، 11-

1988/05/12، ص ص 17-18 .

وتحقيق الأمن الغذائي و الاقتصادي ، و الأكثر من ذلك تجسيد منطق التنمية المستدامة والمتمثل في حق الأجيال القادمة في خيرات البلاد، كما أشار التعريف أن التنشئة الأمنية تسعى إلى محاربة مختلف التهديدات و الرذائل التي تمس بأمن المجتمع ،وذلك بزرع روح الحس المدني و الأمني ، عن طريق توعية وإشعار و تحسيس النشء خاصة و المواطنين عامة بالمسؤولية في استتباب الأمن والاستقرار المجتمعيين ،و على ضرورة الحفاظ على الأمن باعتباره المؤشر الوحيد الضامن لبناء السلم والتعايش بين كل الطبقات والهويات المشكلة للدولة القطرية .

1-3- وتعرف التنشئة الأمنية بأنها: "تعزيز الانتماء الوطني و الهوية الوطنية و ترسيخ مبدأ المسؤولية المجتمعية و القدرة على الفحص و المقارنة بين الأفكار"¹، من هذا التعريف نستنتج أن التنشئة الأمنية هي عملية بناء و إنماء الولاء والانتماء الوطني، والاعتزاز بالهوية الوطنية التي ينتمي إليها المواطن ،و لكن أيضا هي تجذير لمبدأ المسؤولية المجتمعية والجماعية للمواطنين للحفاظ على الوطن باعتباره العنصر المشترك الذي يحمله كل مواطن بداخله ويسعى إلى خدمته باعتزاز و تقاني ،إيماننا منه بأن الولاء الوطني يفوق الولاء الهوياتي ،

وأن الفرق بين المواطنين لا يكمن في العرق أو اللغة وإنما الفرق يكمن في من يقدم أكبر قدر ممكن من الخدمات للرقى بالوطن، انطلاقا بتبجيل الواجب على الحق لان واجبات المواطن هي حقوق الآخر والعكس صحيح.

انطلاقا من الشرح المبسط للتعريف، فإننا سنعتمد على هذا التعريف في معالجة المشكلة البحثية المطروحة، الهادفة إلى تبيان كيفية مساهمة التنشئة الأمنية في بناء الأمن الوطني.

2-أبعاد التنشئة الأمنية :

تعددت وتشابكت أبعاد التنشئة الأمنية،بتعدد الظاهرة الأمنية والإنسانية ،لذلك سنقوم بإلقاء الضوء على كل بعد على حدى:

¹- معتز عبد الحميد ،تصور مستقبلي للتوعية الأمنية في المناهج الدراسية، ص 11-12 تصفح الموقع في www.alfayhaa.tv/main/showart.php; consulté le : 14/11/2011 à 23h20.:

2-1- البعد النفسي :

يقصد به الطمأنينة النفسية و الانفعالية ، و هو من المفاهيم الأساسية في علم الصحة النفسية ، و هناك من يطلقه على الأمن الشخصي، فالشخص الآمن نفسيا هو الذي يشعر بأن حاجاته مشبعة، وأن مطالب نموه محققة، وأن المقومات الأساسية لحياته غير معرضة للتهديد، فالآمن نفسيا يكون في حالة توازن أو توافق أمني.

فالأمن مرتبطا ارتباطا وثيقا بغريزة المحافظة على البقاء و يشتمل الأمن النفسي على ركائز أساسية وهي:

- الشعور بالتقبل و الحب و المودة في تعامله مع الآخرين.
- الشعور بالانتماء إلى جماعة و المكانة فيها .
- إدراك العالم و الحياة كبيئة صديقة حين يشعر بالعدل و الكرامة.
- الشعور بالكفاءة و القدرة على حل المشكلات، و تملك زمام الأمور، و تحقيق النجاح، ومنه المواجهة الواقعية للأمور و عدم الهرب.
- التفاؤل وتوقع الخير، و الأمل و الاطمئنان إلى المستقبل ومنه الشعور بالسعادة والرضا عن النفس و في الحياة¹

يعتبر هذا البعد الأعقد و الأصعب تجسيده نظرا لتشابك الظاهرة النفسية من جهة و غموضها من جهة أخرى.

2-2- البعد الغذائي:

يقصد به تدريب النشء على طريقة التعامل مع الموارد الغذائية ، و ترشيدهم على الاستهلاك السليم، سواء فيما يتعلق بتنظيف الموارد الغذائية و تعقيمها قبل الاستهلاك، أو على مستوى الكم أي عدم الإفراط في الاستهلاك و السعي إلى تكريس ثقافة غذائية تجسد منطق التغذية المتوازنة، لتجنب المواطن الأمراض.

¹ - معتز عبد الحميد، تصور مستقبلي للتوعية الأمنية في المناهج الدراسية، المرجع السابق، ص 12.

كما أن البعد الغذائي مفاده تدريب النشء على تجسيد الأمان الغذائي ، و ذلك بتنويع الوجبات الغذائية حسب الفصول والمناخ ، وتعويدهم على احترام أوقات الغذاء في اليوم ، من أجل بناء نشء سالمي البنية العقلية و البدنية .

2-3- البعد الصحي

يشكل أحد ركائز التنشئة الأمنية، إذ من خلاله يسان الإنسان من كل الأمراض و الأوبئة، وذلك بضمان غذاء صحي و سليم للإنسان يسمح له بتفجير طاقاته في مجالات إبداعه ، لذلك احتل الأمن الصحي مكانة هامة في انشغالات الجماعة الدولية ، إذ أن الصحة تمثل ركنا جوهريا لأمن الإنسان ، ولأن البقاء و الحماية من المرض هما صلب مختلف مفاهيم الرفاه البشري ، و منه فان البعد الصحي هو أساس تمكن المواطن من التمتع بالحرية و إحراز التقدم.

أما تردي صحة المواطن فانه يقوض و يجرّد الإنسان من قدراته الأساسية وقد يفضي انتكاسات كارثية للأفراد و الجماعات ، ففي هذا الصدد أكدت لجنة أمن الإنسان " أن التهديدات الصحية الأشد خطورة بالنسبة لأمن و تنمية الإنسان" هي:

1- الأمراض المعدية ، بما فيها الأوبئة ، مثل مرض نقص المناعة المكتسب (الايذز)، وسرطان الثدي، وغيرها من الأمراض التي تهدد الوجود الإنساني.

2- المشكلات الصحية الناجمة عن الفقر، و التي تزعزع استقرار الدول النامية ، كفقر الدم الناجم عن سوء التغذية¹.

ومن خلال الأمراض و الأوبئة المحدقة بالإنسان، فإن القائمون على التنشئة الأمنية هدفهم تحسيس النشء بخطورة هذه الأمراض و توعيتهم عن طريق الإجراءات الوقائية على مستوى مختلف المؤسسات الدولانية (المدارس، المعاهد، دور الشباب ...الخ) ، وعند توفير الدولة لكل الإجراءات الوقائية فإنها توفر عليها عناء شراء الأدوية الغالية الفاتورة، و تمكن مواطنيها من العيش بعيدا عن هاجس الأمراض المعدية، لأن ثقافة الوقاية أفضل من العلاج.

¹ . الأمم المتحدة، تقرير التنمية البشرية لعام (2010)، نيويورك: منشورات الأمم المتحدة (2010) ص 35 .

4-2 - البعد السياسي:

في هذا البعد يتم التركيز على التنشئة السياسية التي هي عملية تلقين لقيم و اتجاهات ذات سياسة دالة، وهي العملية الممهدة للثقافة السياسية التي عرفها " غابريال الموند" بأنها: «جزء من الثقافة السائدة في مجتمع معين ، و إنما بمجموع عناصرها تكون تركيباً منظماً على طبيعة سياسية»¹.

و من أجل بناء جيل متشبع بالقيم الوطنية ، فإنه من الضروري التأكيد على عامل الانتماء الذي يقر بمبدأ المواطنة كإنتماء عضوي للدولة ، و أن المواطن هو محور العملية السياسية، وهو ما نجده فقط في الأنظمة الديمقراطية، فهنا تبرز علاقة التوأمة بين المواطنة والديمقراطية ، حيث أن كلاهما يقومان على أساس الاعتراف بالإنسان و حقوقه الأساسية من كرامة و حرية ، ولكن أيضا تلزم المواطن بأداء واجباته تجاه الدولة و المجتمع².

مما سبق أعلاه يمكن الإدلاء بأن توفر شرطاً المواطنة و الديمقراطية، في بناء الأطر المعرفية لدى النشء ، كاف بتوعيته وتحسيسه بالمسؤولية اتجاه الوطن ، و زرع روح المصلحة الوطنية قبل كل شيء في أذهانهم، ومنه إشعارهم في ضرورة الطموح في خدمة الوطن وذلك بتحفيزهم على أنهم سيكونون قادة المستقبل ، وعليهم اتخاذ قرارات صائبة و مسئولة اتجاه الوطن.

كما أن هذا المعطى سيفتح أفاقاً واعدة من النقاش الجاد بين مختلف الجمعيات الممثلة للمجتمع المدني و المجتمع السياسي، قصد حل كل المسائل العالقة التي تعيق مسار البناء و التشييد الوطنيين ، وهذا كله يصب في قالب واحد وهو : تحقيق الصالح العام و المصلحة العليا للوطن ، المبجلة للعدالة باعتبارها وجدان الشعب.

5-2 - البعد الاقتصادي:

مادام أن علم الاقتصاد يدرس إنتاج و توزيع و استهلاك الثروة ، وبعبارة أخرى دراسة الجهود التي يقوم بها الإنسان لكي يشبع حاجاته من ملبس و مأكّل ومسكن ، أو بمعنى آخر

¹- scott.M Gregory, political sciences, foundations for a fifth millennium(..new jersey :prentices upper saddle river, 1997, p 104).

²- عبد الحميد نسرين ، مبدأ المواطنة، (الإسكندرية: مركز الإسكندرية للكتاب، 2008، ص 101).

إشباع رغباته المادية¹ فإن البعد الاقتصادي للتنشئة الأمنية يركز على تدريب و تلقين النشء كيفية إشباع حاجاتهم الاقتصادية انطلاقا من التفاني في العمل و خدمة الوطن و هو السبيل الأحسن لإيصالهم إلى تجسيد طموحاتهم المادية بالطرق القانونية و الشرعية.

كما أن التلقين و التدريب الذي يتحصل عليه النشء يسمح بتزويده بالشحنة الكافية للسعي قدما لتحقيق الرفاه الاقتصادي، وذلك بتحقيق أكبر قدر ممكن من الإنتاج ، فكل حسب القطاع والتخصص الذي يمتحن فيه ، و هو المحقق لمبدأ الرفاهية الوظيفية ،الضامن للأداء الكفاء للعمل².

بالإضافة إلى ذلك فإن تجسيد الرفاه الاقتصادي في المجتمع ، يسمح بالتوزيع العادل للثروات والخيرات، و لكن أيضا يضمن مبدأ تكافؤ الفرص وفقا لمنطق الاستحقاق.

مما سبق يمكن القول أن البعد الاقتصادي للتنشئة الأمنية يسعى إلى غرس روح الإبداع والابتكار لدى المواطن ، لأنه لايمكن إغفال العلاقة الخلاقة بين مصادر الدوافع الإنسانية ،والإرادة الإنسانية ،وبين مدلولاتها في التغيير الاقتصادي و المادي لأنه من الضروري بناء الاقتصاد على اعتبارات قيمة معينة كاحترام الملكية و التركيز على الخير في الحاضر ، والإيمان القوي في المستقبل ، وهو المؤشر الأساس ليشق اقتصاد أية دولة طريقه إلى الأمام ، و في السكة السليمة.

(3)

2-6- البعد الاجتماعي :

يقصد به تلقين النشء لمفهوم التكافل و التعاون الاجتماعيين ، وذلك بجعل عملية التضامن الاجتماعي عمودا للبناء المجتمعي الصحيح و القويم من أجل تفعيل آلية المصلحة الاجتماعية ،بالإضافة إلى ذلك فإن البعد الاجتماعي من التنشئة الأمنية، غايته بناء علاقات صداقة ذات مصداقية بين أفراد المجتمع الواحد حرصا على النسيج الاجتماعي للدولة من جهة، وعلى الصرح التنموي السليم لأجيال المستقبل من ناحية أخرى.

¹ محمد برهان المشاعلي ، الموسوعة السياسية و الاقتصادية .(القاهرة:دار الأحمدي للنشر،2007،ص18).

² - Just E Richard , L.Hueth ,Andrew Schinitz, **The welfare economics of public policy**. (London:Edwad Elgar publishing limited,2004,p p32-45.)

³ - Gideonse .D Harry , « **Economics growth and development** ».college and university,vol ,8,no 4,1963,p p 429-43.

2-7- البعد الثقافي:

يعبر البعد الثقافي للتنشئة الأمنية على قدرة صناع القرار و الساهرون على امن الدولة ، على الحفاظ على العادات و التقاليد التي يتقاسمها أبناء المجتمع الواحد ، و الأكثر من ذلك يقصد به قدرة الأمة على الحفاظ على ثقافتها و تراثها و أنماط سلوكياتها و لغتها و الاعتزاز بالتاريخ لدى أفرادها ومواطنيها خاصة النشء الذين يكبرون وهم متشبعين بثقافة الأرض الأم، وهذا المكسب سيكون كالحصن المنيع لكل الثقافات الدخيلة على الثقافة الوطنية.

فحسب "تاييلور" "TYLOR" فان : "الثقافة هي الكل المركب الذي يشتمل على المعارف والمعتقدات و الفن و القانون و الأخلاق و التقاليد و كل القابليات (الممكنات) التي يكتسبها الفرد باعتباره عضو من المجتمع"¹.

فمن هذا التعريف يتضح لنا أن لكل دولة أو أمة ثقافة خاصة تميزها عن الثقافات الأخرى فتحافظ عليها و تعتر بها و ترى فيها وسيلة لوحدها، و أداة تستخدمها لإثارة مشاعر أبنائها أمام التحديات الخارجية، لان المجتمع الذي تنهار ثقافته أو تنفكك أمام الثقافات الأخرى يفقد ترابطه، و تضع فيه ثقة مواطنيه بأنفسهم ، و يصبحون عالة على غيرهم ، كما يفقدون شخصيتهم و روحهم المجتمعية ، و تتحطم عناصر جوهرية في بنية مجتمعهم ، ولهذا فان الغاية من هذا البعد هو بناء أرضية لثلاثية مقدسة وهي :

- الحفاظ على الإرث الحضاري والمنظومة القيمية للوطن وتجديرهما.

- التنمية الثقافية للمجتمع عن طريق المحافظة على الأصل و التغيير في الفروع لمواكبة التطورات الحاصلة في الساحة الدولية.

- بناء قاعدة تربية صلبة تؤمن المسار القويم للأجيال.

2-8- البعد البيئي:

من التحديات الكبرى الواجب رفعها هي المحافظة على التوازن البيئي ، الضامن للتوازن البيولوجي في الطبيعة ، ونظرا لأهمية هذا البعد في بناء مستقبل الإنسانية بصفة عامة، و مستقبل

¹ - محمود مسعود عبد الله، العباس مراد علي، الأمن والأمن القومي. (بنغازي: المركز الدولي لدراسات الأخضر، 2006، ص73).

الأمن الوطني بصفة خاصة، فإن عملية توعية وتحسيس المواطن و النشء بضرورة العمل على تجنب البيئة مالا تطيق و السعي قدما إلى تشييد محيط نظيف ضامن لصحة وسلامة المواطن، و لكن أيضا ، ضامن لبناء التنمية المستدامة و المؤسسة على ركيزة أساسية ألا وهي:

*ضمان حق الأجيال من الخيرات الوطنية و حقه في بيئة سليمة تمكنه من العيش الكريم في كنفها.

II- دوافع بناء التنشئة الأمنية واليات تطبيقها:

1-دوافع بناء التنشئة الأمنية:

أدت التغييرات الحاصلة في المسرح الدولي بعد الحرب الباردة إلى ظهور عدة تهديدات أمنية أثقلت كاهل الحكومات ،ومنه أضحى منطق بناء التنشئة الأمنية أكثر من ضروري ،والذي يكون بمثابة السد المنيع لهذه التهديدات والحالات المرضية التي تعيشها الإنسانية في عالم ما بعد الحداثة ،وهو الأمر الذي جعل من التعاون بين الأجهزة الأمنية والمواطنين حتمي، كخطوة أساسية لتقويض التهديدات الأمنية ،بإجراءات وقائية استباقية، وليس بردة الفعل التي تكفل في اغلب الأحيان بالفشل.

1-1-تنامي ظاهرة الإرهاب:

عانت الكثير من دول العالم من الظاهرة الإرهابية ،التي أخذت منحى تصاعدي متنامي، وبأشكال متعددة ومهددة لأمن ومحيط الإنسان ،فالإرهاب هي ظاهرة عابرة للقارة والأوطان، حيث نجد عدة تسميات لجماعات إرهابية مختلفة في العالم ،ونذكر على سبيل المثال لا الحصر: "الفرقة الحمراء" "RED BRIGADE" في ايطاليا، منظمة "الايتا" "ETA" في اسبانيا ، منظمة "الايرا" "IRA" في المملكة المتحدة، و"تنظيم القاعدة" في الساحل الإفريقي ... الخ .

وان اختلفت هذه الجماعات في طبيعة منطلقاتها أو في طبيعة مطالبها (عرقية ،لغوية، دينية أو انفصالية)، إلا أنها تلتقي في الطريقة المتبعة للوصول إلى أهدافها وهي زعزعة الاستقرار و امن الأقاليم التي تنشط بها ،وذلك بالقيام بالأعمال الإجرامية سواء فردية أو جماعية كانت ،وزرع الرعب بين الناس وتعريض حياتهم وأمنهم للتهديد.

كما أن تنامي الظاهرة الإرهابية يشكل خطر على حياة الإنسان ،ومنه تستوجب عناية خاصة من قبل الدارسين وصناع القرار وجمعيات المجتمع المدني ومن قبل المنظمات الإقليمية والدولية.⁽¹⁾

مما سبقتبرز الحاجة إلى بناء التنشئة الأمنية ودورها في توجيه النشء إلى الطريق السوي الذي يجنبهم كل أشكال التطرف والإرهاب ،فإذا كان دور الأجهزة الأمنية ملاحقة التنظيمات الإرهابية والضالعين في أحداث العنف والإجرام ،فان على القائمين على التنشئة الأمنية مسؤولية تعزيز الأمن الفكري والاجتماعي ،باعتبارهم المحتكين الأوائل بشرائح المجتمع خاصة فئة الشباب ولأدري بخصائصهم العقلية والنفسية ،والسعي من خلال ذلك إلى التأكيد على أهمية قيم التوحد والتماسك في مواجهة تيارات التطرف و العنف.

1-2- انتشار الجريمة المنظمة(تجارة المخدرات):

ظهرت عدة منظمات إجرامية محترفة ،بأشكال وتخصصات مختلفة مما جعل من تموقعها سريع في المجتمعات ،وأخذت تتنامى مع استغلالها للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية المزرية من جهة في الدول النامية خاصة ،والفراغ الروحي في الدول المتقدمة من ناحية أخرى ،وعلى سبيل المثال لا الحصر فان الاتجار الغير شرعي بالمخدرات ينخر حاضر ومستقبل الشباب في كل بقاع العالم في صمت رهيب ،خاصة أن المواد السامة المروج لها من قبل الناشطين في الشبكة الإجرامية ،تهدد حياة الأفراد وتهدد اقتصاديات الدول بالنظر إلى ارتباطها بأشكال أخرى من الجريمة المنظمة كجريمة تبيض الأموال والإرهاب ،مما يؤثر سلبا على الأمن والتنمية في الدولة القطرية ،وهو الأمر الذي يؤثر سلبا على الأمن الوطني.

إن العمل بالمنطق الاستباقي الوقائي ،وبناء الحصانة الذاتية والمجتمعية هي الإستراتيجية المثلى لمواجهة جريمة الاتجار الغير شرعي بالمخدرات على المدى البعيد ،ومنه تتجلى أهمية التنشئة الأمنية التي تساهم في توعية وتحسيس الشباب بمخاطر ومضار المخدرات،وكذا العمل

¹ -Mhand Berkouk . " conceptualizing international terrorism".(Algiers : Horizons Geostratégie , Mars 2010 . p p:12 ,13).

على تحفيزهم في الامتناع على الإقبال عليها ،والسعي إلى بناء قدراتهم الذهنية وتعزيزها ،وتتميتها خدمة للأمن الوطني والصالح العام.

1-3- الثورة المعلوماتية (الانترنت):

كان ظهور الشبكة العنكبوتية (الانترنت) بمثابة مكسب للإنسانية ،باعتبارها ساهمت في تقريب المسافات وأصبح العالم قرية صغيرة ،ضيف إلى ذلك فإنها قدمت العديد من الخدمات للإنسانية ،في شتى المجالات العلمية ،وما هو متعلق بمناحي الحياة.

لكن الملفت للانتباه هو تضارب الآراء في المضامين والخدمات المقدمة من طرف الشبكة العنكبوتية ،فهناك بعض المواقع تشكل تهديد حقيقي لأمن الدول ،خاصة مع اختلاف مشارب حضاراتهم ،ومنظوماتهم القيمية ،ومثلا ولوج الشباب إلى المواقع الإباحية في المجتمعات المتحفظة قد يؤدي بهم إلى ارتكاب جرائم خلقية تمس بالأمن المجتمعي للدولة ،والأكثر من ذلك ،فان هناك مواقع تستعملها الجماعات الإرهابية والتنظيمات الإجرامية لنشر أفكارها المتطرفة سعيا منها إلى استقطاب المؤيدين وتورط الأطفال والشباب وإيقاعهم في شباكيها.

وأمام هذه المخاطر و التهديدات ،فان دور التنشئة الأمنية يكمن في توجيه الشباب إلى الطريق السديد في استعمال المضامين الايجابية للشبكة العنكبوتية والابتعاد عن كل ما ليس علاقة بالمنظومة القيمية لمجتمعاتهم وما من شأنه أن يمس امن واستقرار دولهم.

2-آليات تطبيق التنشئة الأمنية:

تعدد آليات تطبيق التنشئة الأمنية ،للتعبير عن التدرج الوظيفي لهذه الآليات لتمكين النشء بلوغ الثقافة الأمنية التي تمكنه من تنوير أفكاره بمختلف المفاهيم الأمنية ،وهي كالآتي:

2-1- الأسرة:

تشكل الأسرة اللبنة والنواة الأساسية في بناء المجتمع ،ومنه صلاحها يعني صلاح المجتمع ،وفسادها يعني فساده،وهنا تبرز مسؤولية الوالدين في التنشئة الأمنية،وحماية النشء من الانحراف الفكري من جوانب متعددة:

2-1-1- الجانب التربوي: إن التربية عملية جد معقدة ،فهي لا تصب فقط في توفير الإمكانيات المادية للنشء من طعام وشراب و ملابس وعلاج ،بل تشمل الجانب المعنوي للأبناء والمتمثل في البناء النفسي والفكري للنشء ،وتوجيههم إلى الطريق القويم الذي يضمن سلامة مستقبلهم.

2-1-2- الجانب التوعوي : وذلك بمحاورة الأبناء ،وفتح النقاش معهم في كل الجزئيات والتفاصيل المتعلقة بهم ،وهو السبيل الذي من شأنه نصح وتنبيه وتصحيح المفاهيم الخاطئة لديهم ،كما أن الحوار مع النشء ذو جانب كبير في بناء شخصية الطفل ،وتعليمه روح النقد البناء ،وتلقينهم أبجديات التعامل الاجتماعي مع أبناء وطنه.

2-1-3- الجانب الوقائي الاستباقي: كثيرا ما يغفل الوالدين عن نقطة جد حساسة في تربيتهم لأولادهم ،وعدم متابعتهم عند بلوغهم سن المراهقة ،ظنا منهم أنهم لم يعودوا بحاجة إلى توجيه ،وهو خلل كبير في عملية التنشئة الأمنية التي تتطلب الاستدامة في بناء التركيبة الذهنية للنشء ،مع إمامهم بجل التهديدات التي قد تعيق مسار تنميتهم من جهة وتنمية وطنهم من زاوية أخرى. ومنه يظهر دور الأسرة الوقائي في ثلاثة نقاط أساسية:

1- عزل الأبناء عن وسائل الغزو الفكري ،وتقديم البديل النافع لهم من الوسائل المسموعة أو المرئية أو المكتوبة الموثوقة ذات المصادقية.

2- اختيار الأصدقاء لأولادهم ،وإبعادهم عن رفاق السوء، إذ لا يمكن أن تكتمل التنشئة والتربية الأسرية للطفل ،إذا كان لأولادهم رفاق سوء يهدمون ما بناه الوالدين ،ويكونوا سببا مباشرا في الانحراف الفكري للأبناء وضلوعهم في الجريمة ،خاصة تعاطي المخدرات ،والانحلال الخلقي ،وهو الأمر الذي يؤدي إلى عواقب وخيمة على مستقبل الوطن على حد سواء.

3- كما أن الجانب الوقائي الاستباقي يسمح بترسيخ مبدأ هام في بناء شخصية الأبناء وهو أنهم رجال الأمن فلا يتأخرون في التعاون مع رجال الأمن وصيانة الأمن والنظام العام للدولة .

2-2- المدرسة:

المدرسة هي المحطة الثانية للنشء ،وهي مرحلة مكملية للتربية الأسرية ،ولضمان نجاعة التكوين المدرسي السليم والأمن للتلاميذ ،فينبغي توفير عنصرين أساسيين وهما:

2-2-1- تكوين المعلم:

تكتسي عملية تكوين المربين والمعلمين أهمية جد حساسة في بناء النشء وتكوينه وتحصيلهم العلمي ،وهنا تجدر الإشارة إلى دور الجامعات التي تقوم بدور أعظم في وضع خطط تنمية الموارد البشرية لشعب ما، فمنه تبرز وظيفة الجامعة في تكوين المعلم، وتقوية الإعداد الأكاديمي للمدرسين ،وصقل مهاراتهم المهنية ،والأكثر من ذلك يجب النظر إلى تكوين المعلمين على أنها نابعة من أعماق أية خطة تنمية للموارد البشرية ،والتي تأمل إلى عصرنة و تشييد معالم الرفاه للشعوب ،ومنه بناء الأمن والسلم المجتمعيين ،انطلاقا من نظرة عميقة مفادها أن تكوين المعلمين هي اللبنة الأولى لأية تنمية للمصادر الإنسانية ،وهو الضامن الوحيد لمنطق الجيلنة*¹ الأمنية²

2-2-2- تطوير فكرة التخطيط الاستراتيجي في التربية:

عرفت التربية المدرسية فكرة التخطيط الاستراتيجي في التربية ،انطلاقا من أول مدرسة حكومية خططت لنظام شامل ،وكان ذلك في دولة بروسيا التي اهتمت بالتخطيط الوطني للتربية ،حيث انه في عام 1808 ،بدا قسم التربية العامة في بروسيا يضع خطته التنفيذية بإرسال 18 مدرسا إلى سويسرا على حساب الدولة ،لدراسة كيفية تدريب المعلمين ،وفي عام 1840 أنشأت دولة بروسيا 38 مدرسة للمعلمين و30 ألف مدرسة ابتدائية جاهزة العمل ، وقد اتبع هذا التخطيط بإجبارية التعليم لكل المواطنين في دولة بروسيا ،وفوق ذلك الإقرار بمجانيته³.

¹ - الجيلنة الأمنية : تورث التنشئة والثقافة الأمنية بين الأجيال المتعاقبة في الدولة الوطنية.

² - R.Freeman Butt ، « The African university and human resource development an: educationist's» .conference on the African university and national educational planning,(Columbia university ,Lake Maho ,NY ,September 8-18-1964).pp 9-13.

³ -هانسون وجون ، برمبك س كول،التربية والتقدم الاجتماعي والاقتصادي للدول النامية،تر:محمد لبيب النجحي،(نيويورك:مؤسسة فرانكلين للطباعة ،1976، ص ص 381-382).

ومن النظرة التاريخية لعملية التخطيط في الدولة صاحبة براءة الاختراع (بروسيا) ، تتجلى ضرورة التخطيط الاستراتيجي لقطاع التربية والتعليم ، كمدخل من مداخل بناء الثقافة الأمنية للنشء عن طريق جعل فكرة التغيير الايجابي قيمة في حد ذاتها لديهم ، وإنماء مكتساباتهم وقدراتهم الفكرية وذلك بترسيخ فكرة البحث العلمي في نفوس وأذهان النشء ، وجعلها الركيزة الأساسية لمواكبة التغييرات الحاصلة في العلاقات الإنسانية ، وإشعارهم أن البحث العلمي أساس نمو الأمم وتبلغ آمالها ، وتجسد أمنها واستقرارها .

كما أن وجود تخطيط استراتيجي للتربية على المدى البعيد ، يمنح الإطار المنهجي الذي عن طريقه تقدم المدرسة رسائل كبرى تهدف إلى بناء الإنسان وفق أهداف تربوية محددة وخطة علمية سليمة ، مما يساعد على تحقيق نموهم الشامل جسميا ، عقليا ، نفسيا واجتماعيا .

ومن بلوغ منطق التنشئة والتربية الأمنية ، يمكن الاستثمار في غرس الكثير من القيم الايجابية في المتلقين ، بإدراج مادة أو مقياس التربية الأمنية في البرامج الدراسية ، أين يتم التركيز على اختيار التلاميذ بالنقاط التالية¹ :

1- التعريف بكيفية نشأة القوانين والأنظمة المعمول بها في المجتمع ، خاصة المعاملات العامة public dealings .

2- سلط الضوء على بعض الظواهر الخاصة بالجريمة المنظمة ، وجريمة الإرهاب التي تعاني منها جل دول العالم .

3- التركيز على السلوك الواجب إتباعه في مختلف المواقف الأمنية ، والتوعية بخطر الوقوع ضحية لبعض الجرائم و الحوادث .

ومما سبق يمكن الإدلاء بان عملية التخطيط الاستراتيجي للتربية ، هي مهمة في إرساء قواعد متينة للمنظومة التربوية ، ومنه تكوين أجيال واعيين بالمسؤولية ، ومحصنين من كل أشكال

¹ - السلطان فهد بن سلطان ، "التربية الأمنية ودورها في بناء الأمن الوطني " ، بحث مقدم إلى الندوة العلمية "الأمن مسؤولية الجميع " . الرياض : 11-14 محرم 1429 ، ص 12 .

التهديدات الأمنية المختلفة، لان بكل بساطة الغاية الأساسية للتربية الأمنية هي تنمية الإنسان وبناء مستقبل متطور وراق للمواطن.

2-3- مراكز البحث:

تلعب مراكز البحث المتخصصة في الدراسات الأمنية والإستراتيجية دورا كبيرا في بناء التنشئة والثقافة الأمنيتين للمواطن، نظرا للمسؤولية الملقاة عليها في تنوير الرأي العام وبناء ركائز الفكر المجتمعي القويم، والرقى بالمجتمع إلى تدوين التنمية المنشودة وذلك عن طريق:

2-3-1- المحاضرات الأمنية والتوعية:

تنظيم المحاضرات الأمنية والتوعية من قبل مراكز البحث في الدراسات الأمنية والإستراتيجية أمر جد ضروري، إذ يتم إشراك مختلف النخب والفاعلين الاجتماعيين، لتقديم محاضرات ومداخلات لخبراء وأخصائيين في المجال الأمني، من أساتذة جامعيين وعدد من الضباط المتخصصين في مكافحة الجريمة ويكون ذلك وفقا لبرنامج سنوي يشهر به عن طريق مختلف وسائل الإعلام لتعميم الفائدة.

ومن خلال هذه المحاضرات يسعى المحاضرون إلى إلقاء الضوء على مختلف القضايا الأمنية والمسائل الاجتماعية العالقة، كالجريمة المنظمة والإرهاب، والقيام بتقديم إحصائيات ملموسة للحاضرين قصد لفت انتباههم إلى مدى فضاة التهديدات الأمنية التي تخل وتمس بالنظام العام، ويمدى تأثيرها على امن المواطن ومنه على الأمن الدولي، مع ضرورة التأكيد على مكافحتها وإقناع الحضور بعدم الضلوع فيها.

كما بإمكان تقديم هذه المحاضرات من أفراد يمتلكون القدرة على التأثير ومخاطبة الشباب، وان تستخدم الوسائل المرئية والمسموعة والعروض الحاسوبية في تقديمها لكي تكون أكثر تشويقا للحاضرين.

ومن الممكن الاستعانة بالحالات التائبة، أي الضالعين في الجريمة، والذين عادوا إلى سواء السبيل لتقديم نماذج حية وواقعية للتأثير على الحضور واخذ العبرة منها، ومن اجل تعميم الفائدة

،وزيادة ترسيخ منطق التوعية الأمنية كمنطق استباقي وقائي يجنب المواطن والوطن من عواقب التهديدات الأمنية المختلفة.

2-3-2- إقامة دورات تدريبية:

من أنجع آليات نشر التنشئة الأمنية الدورات التدريبية ،ومادام أن الهدف الأسمى لمراكز البحث هو تنوير الرأي العام ،فان تنظيم مجموعة من الدورات التدريبية بالتعاون مع الجهات الأمنية المعاهد والجامعات والمدارس ،يسمح لها بتقديم اكبر قدر خدماتي للوطن والمجتمع ،كما انه يجب التركيز على إدماج المؤسسات التربوية بمختلف أطوارها في العملية، ويتم تقديم دروس في المجال الأمني للأساتذة والمعلمين وتدريبهم على مفاهيم التنشئة الأمنية،وتكوين لديهم قنوات وكفاءات مهنية تمكنهم من تلقينها للتلاميذ وجعلها جزء من الإطار التنظيمي للإدارة التربوية المعاصرة¹.

2-4- وسائل الإعلام والاتصال:

لوسائل الإعلام والاتصال الوطنية وظائف متعددة الجوانب ،والمتمثلة في رصد كل التفاعلات الاجتماعية والتفاعل معها ،بتفسير وطرح حوارات حول مختلف القضايا،واستدراج النخب من أصحاب الفكر والرأي والمعرفة ،لتنوير الرأي العام بالقضايا التي تستوجب المعرفة واطلاعهم بحديثاتها، وإنتاج حالة مشاركاتية من الحوار والنقاش الفعال بين المختصين والجمهور المتابع ،مما يسهم بتنوير تدريجي للمجتمع بالحقائق والضروريات ،ولترسيخ السلوكات والقيم والمضامين المتعارف عليها في المجتمع ،من إنتاج أرضية خصبة لتبادل الآراء والأفكار قصد بناء اطر لتنمية صلبة للمجتمع.

ومع الثورة المعرفية والتكنولوجية التي يشهدها قطاع الإعلام على المستوى الدولي،تنبثق مدى أهمية بناء منظومة إعلامية قوية ،قادرة على تقويض مختلف التهديدات الأمنية المروج لها من قبل القنوات الأجنبية ،وذلك بفتح الأبواب أمام التعددية الإعلامية بشروط منها عدم المساس بالقيم والثوابت الوطنية ،وبالنظام العام للدولة.

¹ -السلطان فهد بن سلطان ،"التربية الأمنية ودورها في بناء الأمن الوطني، المرجع السابق ،ص 6.

كما يظهر الدور الجلي لقطاع الإعلام في إنتاج منطق التنشئة الأمنية، في تشييد ركائز التوعية والتحسيس عن طريق وضع برامج وجرائد متخصصة في شتى مناحي الحياة ،هادفة إلى تقويض الغزو الثقافي والإعلامي الأجنبي ،وتبيان للعيان مدى تهديدها لمقومات وركائز الأمة.

فالإعلام باختلاف وسائله سواء أكانت سمعية بصرية أو مكتوبة ،فدورها يكمن في توفير مناخ عام جامع وتأكيد المعاني المشتركة في المجتمع ،والمعاني الإنسانية التي تجمع أفراد الوطن الواحد ،والتركيز على معاني المواطنة (المسؤوليات والحقوق) والدفاع عن العدالة الاجتماعية ،والتأكيد على الروابط الوطنية والروحية ومعاني الإيمان ووحدة الأمة من تراث ،لغة ،دين وضرورة التركيز على المصير المشترك ،وبهذا تكون وسائل الإعلام والاتصال أداة من أدوات الضبط الرسمي للمجتمعات ،وكمنبر للإرشاد والتوجيه المجتمعيين،وأحدى آليات بناء منطق التنشئة الأمنية.

III- أهداف التنشئة الأمنية:

هناك مجموعة من الأهداف والغايات التي تسعى التنشئة الأمنية إلى تحقيقها ،يمكن تلخيصها في النقاط التالية :

- تعزيز الانتماء الوطني والهوية الوطنية ،وذلك بتنمية الثقافة الأمنية لدى النشء بصفة خاصة والمواطنين بصفة عامة .

- تحقيق الأمن الوقائي لمواجهة الجريمة .

- غرس المهارات والقيم الايجابية للتفاعل مع معطيات العصر .

- تكريس مبدأ المسؤولية المجتمعية ،بتقديس الواجب قبل الحق.

- بناء الثقة بين المواطن ورجال الأمن ،وإزالة الحاجز النفسي بينهما ،وإشعارهما بأن كلاهما رجلا امن ،وعليهما المساهمة معا في بناء الأمن الوطني.

- بناء الحس المدني و الأمني لدى المواطن.

- تكوين جيل مثقف امنيا وواعي فكريا ،قادر على حمل الرسالة المقدسة إلى الأجيال القادمة وهي ضرورة تكريس منطق الولاء الوطني ،لحماية الوطن.

خاتمة:

تشكل التنشئة الأمنية احد الركائز الأساسية في بناء الأمن الوطني ،بتعبيرها على مدى ضرورة تكريس ثقافة الانتماء و الولاء الوطنيين لدى النشء خاصة والمواطن عموما ،والأكثر من ذلك فهي تجسد المنطق الاستباقي لمواجهة الجريمة في المجتمع ،ومادام أن التنشئة الأمنية كمنطق رافض لفكر الدمار والتصدع ومقدس لفكرة البناء والتشييد ،فانه ينتج أرضية توافقية مجتمعية ،قادرة على تبجيل الذات الإنسانية والارتقاء بها إلى الرفاه وتحقيق كرامة الإنسان،فهي أيضا تشكل عصب عملية بناء الأمن الوطني ،وذلك بتكوين جيل يؤمن أيا ان الإيمان بالوطن كنقطة مرجعية ومفصلية في بقاءه ورفقه ،ينقل رسالته إلى الأجيال القادمة لتجسيد منطق الاستدامة والجيلنة الأمنية ،ومنه يمكن استخلاص مجموعة من النتائج وهي :

- التنشئة الأمنية كمفهوم جديد واكب تطور حقل الدراسات الأمنية ،يهدف إلى تكريس ثقافة الوقاية من التهديدات الأمنية التي قد تمس بأمن الدولة الوطنية .
- ضرورة تفعيل دور المؤسسات التربوية في بناء الوعي لدى النشء ، وإنتاج أجيال تؤمن بأن الأمن الوطني مسؤولية الجميع .
- تكريس ثقافة الحوار وتقبل الرأي الآخر ،والأكثر من ذلك تقبل إيديولوجيته ،من أجل إنتاج روح الانفتاح الحضاري ونبذ كل أشكال التعصب .
- لا يمكن لأي دولة أن تنتج أمنها الوطني في ظل غياب تنشئة أمنية تستند إلى المشارب الحضارية والفسيفساء المشكلة لمختلف أطياف الدولة.